الفصل الثانى عشر

الحياة الجنسية

طالما تتحرك الشفاه متسائلة : هل للأطفال حياة جنسية ؟ ومتى يبدأ الأطفال تعلم حقائق من الجنس ؟ أو بمعنى آخر : متى تبدأ التربية الجنسية ؟

كان الرأى الغالب أن الأطفال لا يعرفون ولا يحسون بميول جنسية وأن عقولهم قد خلت من الأفكار التى تتعلق بهذه الأمور ، وقد ظهر أخيراً أن هذا الرأى بعيد كل البعد عن الصحة والواقع، فإنه من الثابت أن عقل الطفل دائم التفكير فى مسائل ، لا يرى فيها الطفل أى ارتباط بالأمور الجنسية . وقد لاحظ المحللون النفسيون أنه توجد فى أيام الطفولة الأولى أوجه نشاط جسمية متعددة تشبه إلى حد كبير مظاهر النشاط الجنسى فى حياة الكبار، وهذه تبدأ مباشرة بعد الولادة[1] .

ومن المؤكد أن التربية الجنسية تبدأ أولا فى المنزل ، وهى تبدأ فى الواقع بعد الميلاد مباشرة ، ويرى البعض أنها تبدأ قبله . ولا يظهر الدافع الجنسى عند الأطفال كشىء جديد ، بل هو أمر

---

(١) Eustace Chesser & Zoë Dawe : The Practice of Sex Education. p. 11.

فطرى ، ويتمشى نموه جنباً إلى جنب مع نموه العام . ولذا فإن فكرة الطفل عن الجنس وعن العلاقات الجنسية تتشكل إلى حد بعيد جداً بما يراه ويسمعه وما يحس به فى البيئة التى يعيش فيها ، وخاصة الجو المنزلى .

لهذا كان من الأوفق أن ننتهز فرصة حب الطفل للإستطلاع ونلقنه بعض الحقائق الجنسية ، ولا يجب أن تكبت هذه النزعة ، لأن الطفل سيلجأ حتما إلى شخص يشبع هذه القوة الدافعة (الغريزة) ، وهذا سيلقنه معلومات مشوشة مهوشة خاطئة تعمى بصيرة الطفل عن الحقيقة والواقع .

لايجب أن ننزعج :

غريزتان تصاحبان الكائن البشرى فى نموه وهما : البحث عن الطعام والغريزة الجنسية ، وكلمة غريزة تعنى أنه أمر فطرى ، فللطفل إذن « حياة جنسية » ، وكلمة « جنسية » تثير شيئاً من القلق والجزع والخوف ، ولذا فمن الأوفق أن نوضح معناها بالنسبة للطفولة ، فهى ميل يرمى إلى البحث عن الإحساسات اللذيذة ، وهذا الميل يلوح لأول وهلة خاليا من عنصر اللذة لكن له صفة جنسية . فهذا الدافع للبحث عن اللذة ، كالدافع للبحث عن الطعام ، سلوك طبيعى فطرى فى الإنسان . هذان الدافعان مرتبطان إلى حد ما عند الطفل ، إذ أن فى إشباع الجوع لذة (جنسية) فإن الطفل كما يقول

فرويد Freud [١] بعد أن يرضع من ثدى أمه ويستلقى نائما وقد توردت وجنتاه وارتسمت على شفتيه ابتسامة الرضا التام ، سيجد نفس المنظر يتكرر بعد أن يكبر الطفل ويصل إلى درجة الإشباع الجنسى إثر عملية الجماع .

وقد لوحظ أن عملية الرضاعة (البيولوجية) ، وفيها يضع الرضيع حلمة ثدى الأم فى فمه ويمتصها فى لذة محببة متتابعة ، لاتقتصر قيمتها على مجرد إشباع الجوع بل إنها إلى جانب ذلك تمنح الطفل لذة عظمى سرعان ما يحاول هو البحث عنها إذا ما أبعد عن ثدى أمه ، فهو يعمد حينئذ إلى مص أصابعه . وعند مايضع الطفل اصبعه فى فمه ينسى كل ماحوله ويفنى كلية فى هذه اللذة الذاتية ، وقد لوحظ ذلك من تورد الوجنتين ومن الشعور العميق باللذة الذى ينعكس على عينيه .

ولعل مما يعضد هذه الأقوال ماأشار إليه فرويد فيما يختص بالشفاه ، فهو يرى أنه مادمنا نعتبر أن اللذة الناجمة عن انطباق واحتكاك والتصاق شفتى شخص بشفتى شخص آخر تعتبرعنصراً فى العلاقات الجنسية الصحيحة ، لذلك فإن كل لذة مصدرها الشفاه تعتبر لذة جنسية [٢] .

---

(١) Freud, S. : Introductory Lectures. P. 263.

(٢) Quoted by Valentine : The Psychology of Early Childhood. ch. 18.

لكن يجب أن نحترس ، فليس إذن مصدر اللذة التي يحصل عليها الطفل من عملية الرضاعة هو ثدى الأم بل مصدرها شفتى الطفل نفسه ، بدليل أنه لو استبدلت حلمة الثدى (بالبزازة) لما وجد الطفل تغيراً كبيراً ، خاصة إذا حمل فى وضع يشعر فيه بالراحة النفسية والجسمية ، وبدليل أنه لو كان الأمر منصباً على حلمة ثدى الأم لأصبح الفطام ، على نقيض ماهو معروف ، أمراً شاقاً بل عسيراً .

على أن آراء سيجموند فرويد فيما يختص بالتقبيل والتصاق الشفاه لم تقابل بالارتياح لدى الكثيرين من علماء النفس ، فإن وليم ماكدوجال هاجم رأى فرويد هجوماً لاذعاً وتساءل فى كتابه Psycho - Analysis and Social Psychology هل يعتبر تقبيل طفل فى الثانية أو الثالثة من عمره لأمه عملية جنسية ؟! وهل تقبيل الطفلة لدميتها له مغزى جنسى ؟ .

الحاجة إلى تربية جنسية :

كتبت أنا فرويد Anna Freud فى جريدة Health Education Journal [1] تقول : « يظهر الأطفال فى كل الأعمار دلائل توضح رغبتهم فى أن يعرفوا ما يسمى (بحقائق الحياة) ، فيبدأ الأطفال

(١) Quoted in : Chesser, E. & Dawe, Z. : The Practice of Sex Education.

من الحضانة فصاعدا فى جمع ومعرفة المعلومات والحقائق عن المسائل الجنسية ، ونجدهم لكى يعرفوا الفروق بين الجنسين ينتهزون كل فرصة ممكنة ليقارنوا أجسامهم بأجسام أشقائهم وشقيقاتهم بل وزملائهم وزميلاتهم فى اللعب . ويحلو للطفل كذلك أن يقارن بين جسمه وجسم البالغ الراشد . ويتحايل الأطفال على ذلك بصور شتى فقد يزحفون على الأرض بحجة البحث عن شىء ليتمكنوا من الحصول على نظرة خاطفة من أسفل رداء الأم ، وقد يتحين طفل الفرصة التى تخلع فيها الأم أو الأخت الكبرى ملابسها ليستشف بعينيه ما تخفيه الملابس ، وكم يلذ للطفل جداً لو أنه رأى والده أو والدته أو أخته وهى تستحم وقد تجردت تماماً من ملابسها . ولا يدهش مطلقاً إذا وجدنا طفلا فى الثانية أو الثالثة وقد ظل متيقظا فى الليل يسترق السمع للأصوات والهمسات الصادرة من مخدع والديه » .

هذا هو بالضبط ما أوردته أنا فرويد . وقد يجد معارضة شديدة ونقداً لاذعا من هؤلاء الذين يرون فى الأطفال مخلوقات بعيدة كل البعد من الحياة الجنسية ، لكن المؤكد أن سلوك الطفل هذا يعتبر المرحلة الأولى للشهوة الجنسية التى ستتركز فيما بعد فى الأعضاء التناسلية . وقبل أن يصل الفرد إلى هذه المرحلة الأخيرة نجد أن الشعور باللذة وحب الإستطلاع يلعبان دوراً هاماً فى أوجه

نشاط الطفل المرتبطة بالناحية الجنسية والتى لا اتصال لها بعملية الجماع . وهذا ضرورى ولازم جداً لنمو الطفل الوجدانى والعقلى ، ولذا نقرر أن هذا هو السلوك الصحيح لطفل طبيعى بعيد عن الشذوذ .

إذن فللطفل حياة جنسية ، وبالتالى فيجب أن ينال قسطاً من التربية الجنسية . لكن كيف ينال الطفل هذا النوع من التربية ؟ إن الهفوة الطفيفة فى التربية الجنسية قد تؤدى إلى عواقب وخيمة لا تمر بسلام ، فقد يسىء البعض فهم المقصود بالتربية الجنسية ويخوض فى التكلم عن مسائل جنسية لا تهم الطفل ولا يهضمها عقله بل قد يفهمها بطريقة تؤدى إلى نتائج عكسية . وقد يرى البعض فى التربية الجنسية منهاجا لتعليم الوقاية من الأمراض السرية . وهذا بالطبع بعيد كل البعد عن الواقع المطلوب . ونادى البعض أن يعطى الطفل المعلومات الجنسية فى أوقات محددة وكعلوم قائمة بذاتها ، وأن تعين لها حصص كما يعين للحساب والجغرافيا حصص . ويحبذ البعض أن تقتصر التربية الجنسية على المنزل ، ويعارض البعض الآخر ويرى أن هذا هو عمل المدرسة ، فى حين أن فريقاً ثالثاً يرى أن تعهد إلى منظمات وجمعيات عامة . (١)

نخرج من هذا أن التربية الجنسية لازمة وضرورية ، ولا يهمنا

---

(١) Teagarden. : Child Psychology.

أن يقوم بها المنزل أو أن تكون لها حصص خاصة ، لكن الذى يهمنا جداً هو ألا يرى فيها الطفل غرابة وبعداً عن المألوف ، فلا يحمر وجهه خجلا عندما يستمع إلى حقائقها ولا يستحى من أن يسأل سؤالا ، بل يرى فيها شيئاً عادياً طبيعياً . وإن عبئاً كبيراً من هذا يقع على كاهل من يقوم بالتربية الجنسية ، فيجب أن تلقى حقائقها إلقاء طبيعياً لا وجه للغرابة أو التصنع فيه .

وهنالك أمر آخر جدير بالذكر وهو ما اصطلح على تسميته بعقدة أوديب ، وهذه العقدة مثار متاعب كثيرة مصدرها الطفل ، ويجد الوالدان صعوبة كثيرة فى معالجتها . وتروى الأساطير أن أوديب بعد اكتشافه حل اللغز الذى حير أبطال اليونان أصبح ملكا وتزوج من ملكة ، وهذه كانت ، دون أن يدرى ، والدته . ومن هذه الحادثة اشتق فرويد التسمية التى أصبح يترجم بها رغبة الطفل وميلة إلى الوالد من الجنس المخالف ، وهذا فى الحياة اللاشعورية ، أما فى الشعور فكل شىء طبيعى عادى .

ومنشأ المشاكل هنا الغيرة ، فالطفل (الولد) مثلا يشعر بعد ولادته بالراحة والدفء فى حجر وكنف أمه ، ويشعر بالطمأنينة والرضا إذ يجد نفسه معتمداً عليها ، وهذا التواكل يعطيه الشعور بالأمن ، وهذا ما يحتاجه الطفل . ولكن الشعور بالأمن هذا تطرأ عليه عوامل تهدده ، أو تهدد الطفل بحرمانه منه ، ومعظم

هذه العوامل تصدر من شخص واحد ، هو الأب الذى يتدخل بين الطفل وأمه مسلحاً بحقوقه الشرعية . ويصدم الطفل حينما يجد (منافساً) يظهر على المسرح ليقاسمه انتباه واهتمام الأم ، أو بمعنى آخر يجد الطفل أن ماظنه ملكا خاصاً له أمسى وقد أصبح قسيم شخص آخر فيه .

ولكن الطفل لا ييأس ولا يتراجع ولا يقف مكتوف اليدين أمام هذا الإعتداء على الملكية ، فيعمد إلى أنواع من السلوك العدائى قبل والده ، غريمه . وهذا الشعور نحو والده لا يستريح له الطفل ، بل يشعر بالخجل لمعاملته الجافة القاسية نحو أبيه ، وقد يؤنبه ضميره . . . وكلما توالت السنون زاد تأنيب الضمير واضطرته التقاليد والواجبات أن يخفى هامته احتراماً لوالده وأن يعامله المعاملة التى هو جدير بها . ثم قد يجد الطفل ألا ضير عليه فى أن يقاسم والدته حب الوالد ، ويقال فى هذا الصدد (حب الطفل الذكر لوالده) إنها البذرة الأولى للجنسية المثلية Homosexuality [1]

الإستمناء Masturbation

دليل آخر يثبت وجود حياة جنسية عند الطفل ، وهو أمر يثير القلق والخوف عند كثير من الآباء والأمهات ، ويعتبر دليلا

(١) يقصد بالجنسية المثلية ميل الذكر للذكر ، وميل الأنثى للأنثى ، وهى تختلف فى هذا عن الجنسية الغيرية Heterosexuality وهى ميل الذكر للأنثى والعكس .

حاسماً على سوء خلق فطرى فى الطفل سرعان ما ينمو بنموه ، فيلجأ الآباء فى معالجته بطرق تكون هى ، هى وحدها السبب فى الحاق الضرر بالطفل ، أما عملية الاستمناء فى حد ذاتها فليست لها عواقب جسمية أو نفسية خطيرة .

وقد عرفنا جهاد الطفل المستمر ليحصل على انتباه وحب أمه له وحده، وعرفنا ذلك النزاع الوجدانى الذى يعترى الطفل بخصوص والديه ، وهذا يدفعه حتما إلى أن يثير نفسه ويصحب ذلك بما يرضيه من التهيؤات السرية غير الملفوظة ، فإن قدرته العقلية تقصر عن تمكينه من التعبير عما يحس به . فيلجأ إلى الاستمناء — اللعب بالعضو التناسلى — الذى يجمع الكثير على أنه لا يتعدى فى خطورته مص الأصابع .

ويرى ليوكانر Leo Kanner[1] أن هناك أربع أنواع للاستمناء:

١ — الاستمناء الذاتى Auto ويكون عادة يدوياً .

٢ — الاستمناء المتبادل Mutual ويكون بين طفلين أو أكثر

٣ — الاستمناء باستعمال أشياء مادية Instrumental كحافة الكرسى مثلا .

٤ — الاستمناء العقلى Mental ويكون عن طريق الصور العقلية .

---

(٢) Quoted by Teagarden From Kanner, L. : Child Psychiatry.

هذه الحقائق لايجب أن تزعجنا ، لأن الطفل لا يقصد منها سوى اللعب ؛ اللعب البرىء ، يجد فيه متعة ولذة ، فيستغرق فيه بكل سذاجة وبراءة . ومن الملاحظ أن الأولاد والبنات عند مايلعبون بأعضائهم التناسلية يعيشون فى حاله غريبة ، فان الجسم يرتخى ويميل الوجه إلى الإحمرار وتلمع عيناه ويفنى تماماً فى العملية بحيث لايمكن تحويله عنها ، حتى يصل إلى الذروة Climax ثم يهمد ويستغرق فى نوم عميق . وهذه كلها دلائل واضحة لعملية الاستمناء (١) .

فالاستمناء سلوك عادى طبيعى لايجب أن يقابل من الكبار بهذه النظرة التى لاتحمل سوى الخوف العميق على أطفالهم، ويقول فرويد إن الأطفال عند ما يكتشفون أجزاء جسمهم بتحسسهم أياها بأيديهم ، يلاحظون أن أعضاءهم التناسلية تعطيهم إحساساً من نوع لذيذ ، الأمر الذى يدفع الطفل دائماً إلى العمل للإحتفاظ بهذه اللذه الممتعة . ويلح فرويد ويصر على أن هذا نوع عام من خبرة الطفولة ، ويرى أنها أولى مراحل الاستمناء (٢) .

وثمة سبب آخر يدعو الطفل إلى اللعب الجنسى وهو عدم شعوره بالسعادة أو أن يثار الطفل إثارة حادة خبيثة كأن يرى بصراحة متناهية تفضيل طفل آخر عليه. أو يكثر الوالدان من إيلامه

---

(١) Oswald Schwarz ; The Psychology of Sex. P. 33.

(٢) Len Chaloner (Editor) : The Mother's Encyclopœdia, p.375–376.

أو عدم العناية به ، فيستغرق الطفل حينئذ فى نوع من اللذة كثير الشبه بمص الأصابع . ويجب أن نحترس أيضاً فنقتصد من تدليلنا للطفل واظهارنا الحب له ، فلا نغالى فى تقبيله ومداعبته .

ومادامت عملية الاستمناء ظاهرة عادية فى حياة الكائن البشرى الذى ينمو نمواً طبيعياً ، فلذا نجد أنه من الضرورى أن نتناولها بشىء غير قليل من التؤدة والرفق لأنها ترتبط بأعمق ينابيع الحياة الوجدانية للطفل . وهذا يعنى أن نبتعـــد كل البعد عن التوبيخ والتأنيب وعن الضرب أو كل مايتصل بالبدن ، بل الأوفق أن نجعل الطفل يتدبر المسألة بنفسه .

ولذلك فيجب أن يلم من يقومون بتربية الطفل إلماماً صحيحاً بماهية عملية الاستمناء والدوافع الحقيقية إليها حتى يكون علاجهم لها علاجا ناجحا شافيا . فهى أولا نمو عادى طبيعى ، طالما أن الحب الذاتى صفة موجودة عند كل طفل ، فهو يحب نفسه ويرجع كثيراً من الحوادث إلى شخصه . ولذلك فإن الطفل الذى أهمل وقلت العناية به أو الذى أرعب وأفزع أو الذى يشعر بالقصور والدونية ، مثل هذا الطفل يجد أن من الصعوبة عليه أن يلائم بين موقفه والبيئة التى يعيش فيها فيتجه إلى ذاته ، ولديه المواد الغفل ، كحبه لنفسه ، يجد فى الاستمناء ثغرة يدلف خلالها ليعوض شيئا من المضايقات التى يحس بها[1] .

---

(٣) Oordon, R.G. (Editor) : A Survey of Child Psychiatry. P. 250

ولذلك فيجب أن يلجأ الوالدان أو المربون عموماً إلى الحكمة والتعقل فى سلوكهم إزاء الأطفال ، فلا يجب أن ترتسم على وجه الأم علامات الغضب الممزوج بالإنزعاج ، ولا يكشر الوالد عن أنيابه ويود لو استطاع أن يلطم طفله ، ويرى فى عمله هذا دليلا على سوء خلق أو شر بالفطرة ! ! وقد وصل الحال فى إحدى الحالات إلى ربط يدى الطفل ورجليه إلى جانبى السرير حتى لا يحدث احتكاك من أى نوع [١] ، وهذا لاشك سيجعل الطفل يميل إلى هذا الممنوع المحرم ويندفع اليه بكليتيه ، بل إن ذهن الطفل وتفكيره ركزا فى العضو التناسلى . وقد يؤدى مثل هذا السلوك الخاطىء من الوالدين إلى أن يرى الطفل فى عضوه التناسلى شيئا قذراً ومنطقة حرام لا يجوز له أن يتكلم فيها أو يتحدث عنها ، وهذا ولا شك له آثار سيئة فى المستقبل .

كما يجب أن توزع الأم عطفها ومحبتها بالعدل والقسطاس بين أطفالها ، وقد نجد بعض الأمهات لاتسبغ على طفلتها نفس كمية الحب والإهتمام الذى يتلقاه الطفل الذكر ، وذلك راجع إلى العوامل الإنفعالية اللاشعورية الصادرة من الأم ، بل إن الأم لا تتلقى لذة عندما ترضع الأنثى تساوى نفس اللذة التى تجدها عندما ترضع الطفل الذكر [٢] .

---

(١) عبد العزيز القوصى : أسس الصحة النفسية .

(٢) Mary Chadwick. : Difficulties in Child Development.P.383

فرويد والغريزة الجنسية :

يرى فرويد أن الرغبات التى يستشعرها المرء فى طفولته المبكرة تعتبر أساساً دائماً لحياته النفسية ، وأن الحياة العقلية اللاشعورية تحتفظ بهذه الرغبات والأمانى ، ولذا فإن أشكال السلوك التى تظهر فى مراحل الحياة بعد ذلك تتصل اتصالا لاشعورياً ، فى جوهرها ، بحياة الانسان فى مرحلة الطفولة . وهو لهذا يقرر بأن سلوك الإنسان وخلقه يتحددان إلى حد بعيد فى الخمس سنوات الأولى من عمره .

هذه الرغبات والميول سرعان ما تطويها زوايا النسيان ؛ ذلك لأن المجتمع وتقاليده والبيئة وأحكامها تتطلب من الطفل معايير خاصة من السلوك لا بد له من اتباعها وعدم الحيدة عنها ، فهى تحدد له أنواع السلوك التى ترضى عنها ؛ وهذا ما يسميه فرويد بالتسامى Sublimation ؛ لذا تكبت هذه الرغبات والميول فى اللاشعور ، وتدفن فيه حية . وتبدأ تعبر عن نفسها بطرق شتى ، مقنعة ، فيها شىء من التنفيس عن هذه النزعات المكبوتة ، وقد يصل الأمر بها إلى أن تظهر على شكل مظاهر مرضية .

ويؤكد فرويد أن الميول الجنسية للطفل ونشاطها فى نفسه يوجدان منذ بواكير الطفولة ، ويصر على أن الرغبات الجنسية ، كما يراها جمهرة الناس ، توجد فى نفس الطفل نشطة حية . فالغريزة

الجنسية فى نظره تبقى نشطة فعالة من المهد إلى اللحد ، بغض النظر عن الأشكال التى تظهر بها، أو الأساليب التى تعبر عنها . وتمر الغريزة الجنسية فى مراحل مختلفة حتى تصل إلى النضوج ، وهذه المراحل متتابعة متوالية ، تنتقل من مرحلة إلى أخرى ، أما إذا عجزت عن الانتقال من مرحلة إلى التى تليها ، عرض لها نوع من التثبيت . ويلزم أن يمر الانسان بتلك المراحل مرتين فى حياته : مرة فى السنوات الخمس الأولى ومرة أخرى فى السنين التى تتبع المراهقة ويلاحظ أن النمو والنضوج فى المرحلة الثانية يتحدد فى أكثر أشكاله بطبيعة النمو فى المرحلة الأولى .

ونمو الغريزة الجنسية ، حسب رأى فرويد ، يمر فى مراتب متتابعة ، ويبحث هذه المراتب من وجهتين :

(ا) الوجهة الأولى وهى من حيث الموضوع الذى تلتمس فيه إشباعاً لها ، ويمر الطفل هنا فى المراتب الآتية :

١ — مرتبة العشق الذاتى Auto - erotism ، وفيها لايدرك الطفل بعد ، أنه يكون وحدة مميزة مستقلة ، وهو هنا لايستطيع أن يشبع ميوله الجنسية عن طريق غيره ولا حتى عن طريق بدنه فى مجموعه العام . بل يجد اللذة فى بعض أجزاء منه كالفم أو بين الفخذين او تحت الإبط .

٢ — مرتبة النرجسية Narcissism ، وفيها يحس الطفل بنفسه

كوحدة مستقلة لها كيانها الخاص بها ، فيأخذ ذاته كلها غاية لعشقه ، ويستمد لذته الجنسية من بدنه كله ويرى فيه شيئاً جديراً بكل حبه أكثر من أى شيء آخر خارجي .

٣ — مرتبة عشق الغير Alloerotism وفيها تتجه الميول الجنسية نحو آخرين وهذه مرتبتان : الأولى يتجه فيها نحو أشخاص من نفس جنسه Homosexuality ثم الثانية وفيها يتجه نحو أشخاص من الجنس الآخر Heterosexuality .

(ب) أما الوجهة الثانية فهى من حيث نمو الطفل وعلاقته بمناطق الجسم التى يشبع فيها الشعور الجنسى ، ويرى فرويد أن الميول الجنسية أو الحسية للطفل تكون أول الأمر غامضة منتشرة على جلده كله ، ولو أنها تبكر فى التركز حول بعض المناطق التى تثبت اللذة :

١ — المنطقة الأولى وهى الفم : فالطفل يشعر بلذة عند ما يمتص الثدى أو (البزازة) أو حتى أصبعه . وهذه المرحلة تمر فى خطوتين : الأولى انشائية فيميل الطفل إلى ابقاء الشيء فى فمه مدة والثانية تخريبية وفيها يعمد إلى تجزيئ الشيء وتحطيمه. ويرى فرويد أن اللذة التى يحصل عليها الكبار من التقبيل أو التدخين أو أية لذة تتصل بالفم تعود كلها إلى تلك اللذة الأولى التى تنبعث فى هذه المرحلة التى يسميها فرويد بمرتبة العشق الحلقى Oral Erotism .

٢ — تنتقل اللذة بعد ذلك إلى منطقة الإست ويسميها العشق الإستى Unal Erotism وهى على مرحلتين كذلك : الأولى يميل الطفل فيها إلى القذف والإخراج أى بالوجه الهدام ، أما الثانية فالميل إلى الإبقاء والإمساك أى بالوجه الإنشائى .

وهذا على عكس مرتبة العشق الحلق الذى يبدأ بالإنشائى وينتهى بالتخريبى .

٣ — المرتبة الثالثة تتركز الميول الجنسية فيها حول الأعضاء التناسلية وهى على مرحلتين : الأولى المرحلة القضيبية ثم المرحلة التناسلية الصحيحة .

ويرى أنصار فرويد أن الطفل بعد أن يمر فى المرتبتين : الأولى والثانية ، يدخل فى مرحلة تسمى بالدور الكامن Latency Period ويعتبرونها دور كبت للنزعات الجنسية التى تبدو بعض مظاهرها من قبل [١] .

ويجب أن يمر الطفل بهذه المراتب على ذلك الترتيب ، وكل مرتبة توصل إلى التى تليها ، لكن يحدث فى المرتبة الثالثة أن يتعلق الطفل بالكبار من الجنس الآخر وتنشأ تبعاً لذلك عقدة أوديب وعقدة الكترا ، فالطفل يتخذ من أمه موضوعاً لحبه ويغار من أبيه الذى يشاركه هذا الحب ويرى أنه منافس خطير له ، وكم

---

(١) عبد العزيز القوصى : أسس الصحة النفسية ص ٤٦٢ .

يتمنى الطفل لو أن الجو خلا له وتخلص من هذا المنافس (الأب) . والعكس مع الطفلة التي ترى فى أمها منافسة لحبها لوالدها ، وكم تتمنى لو أنها تخلصت منها ليكون لها والدها دون منافس آخر !! ولكن الطفل لا يستطيع بعد أن يكبر قليلا أن يجاهر بحقيقة شعوره لأن التقاليد والعرف والواجب تقف حائلا أمام ما تعتمل فى نفسه من إحساسات ، فتنسحب تلك الميول إلى اللاشعور .

هذا الميل (حب البنت لأبيها وحب الولد لأمه) يلعب دوراً على جانب كبير من الأهمية فى حياة الطفل المستقبلة ، فهذا الميل يؤثر فى نوع الرفاق الذين يتخذهم الطفل وفى نوع المهنة التى يمتهنها ونوع الزوجة التى يتخيرها .

أسئلة الأطفال :

ويستحسن ، بعد أن ينمو الطفل قليلا ، أن يشبع حبه للاستطلاع الذى يتبلور على هيئة أسئلة ، لعل أكثرها شيوعاً هو السؤال الجنسى : من أين يأتى الأطفال ؟ وموقفنا هنا يجب أن يكون حكيما ، فإذا نهرناه فسيلجأ إلى شخص آخر يكبره سناً ، غالبا ، ليجد ويسمع من بين شفتيه تعليلا وإجابة لهذا السؤال . وهذا الشخص قد يلقى إليه بإجابة أقل ما توصف به أنها مضللة خاطئة تحمل الطفل إلى وادى مهدنا نحن السبيل إليه وما كنا نريده أن يذهب إليه . ومن الخير ، إذا ما سأل الطفل هذا السؤال أن نضرب

له أمثلة بالحيوانات وكيف تتوالد (الكلاب والقطط) وننتظر حتى ينمو أكثر فنلقى له الحقيقة كاملة بعد أن نتأكد من أن عقله يمكنه هضمها واستيعابها . وقد يعمد بعض الآباء إلى تلمس إجابة لذلك السؤال لاتحوى سوى أكاذيب ملفقة بعناية ويصدقها الطفل ويستريح إليها ، ويستريح إليها الوالد والأم كذلك ، ولكن ماذا يكون موقفهما عند مايكتشف الطفل الحقيقة فى يوم ما إما عاجلا أو آجلا ؟ وترى سوزان أيزاكس[1] أن تجيب الأم طفلها بعبارة مقتضبة سهلة يمكنه فهمها مثل : « إنك خلقت فى عش دافىء بداخل جسمى ونموت حتى بلغت من النمو درجة تيسر لك الحياة خارجا عنى ، وعندئذ ولدت » . أما إذا سأل الطفل عمن كان يعنى به عندما كانت أمه صغيرة وفى حاجة هى نفسها إلى العناية والرعاية ، فيمكنها حينئذ أن تجيبه بأنه لم يكن قد كوّن بعد ، ولم يكن قد بدأ ينمو داخل أمه .

ويمكن أن ننتهز هذه الفرصة فنساعد الطفل على تربية بعض الحيوانات الأليفة وصغارها كالقطط والكلاب والأرانب والفيران والدجاج . وهنا يكون لدى الطفل فرصة ذهبية للتفريق بين تكاثر الطيور وتكاثر الحيوانات . وقد لاحظ كثير من الآباء والأمهات أن البساطة الصريحة والزمالة الصادقة من جانب الأم فى إجابة

---

(١) سوزان ايزاكس الحضانة (ترجمة سميه فهمى)

الطفل عن أسئلته ، كان لهما فضل كبير على عقليته .

هذا ، ولا شك أن عقل الطفل بعد أن استوعب الدور الذى تلعبه الأم سيجعله يتساءل عن نصيب الأب ، وهل العبء كله يقع على كاهل الأم ؟ فهل نقف من هذا السؤال موقفنا من السؤال السابق ونجيبه بمثل تلك الصراحة البسيطة ؟ أم نتركه يتلمس الإجابة من مصدر آخر يبث فى نفسه أفكاراً خبيثة ومعانى قبيحة؟ أم يترك تائهاً فى دياجير الظلام لا يجد قبساً من نور ؟ الأوفق أن نجيبه كما أجبناه فى دور الأم ، إجابة صريحة بسيطة سهلة صادقة : فنبين له أن الأب يزرع البذرة التى تحميها الأم وتغذيها والتى تنمو بعد ذلك إلى طفل صغير .

ويميل الطفل كثيراً إلى مقارنة نفسه بغيره من الأطفال وخاصة من الجنس المخالف ، ولا بأس مطلقاً من أن يرى الفرق ، إذ أن الكبت سيؤدى حتما إلى عواقب وخيمة . وهذه حالة لطفل[1] فى الخامسة ، ليس له سوى إخوة ذكور ، ترك لحظة مع طفلة فى الثالثة من عمرها فى حجرة منفردين ، بابها موصد . وعند ما فتح الباب فجأة وجد أن الطفلة قد ألقيت على الأرض وهى تصيح بشدة فى الوقت الذى كان فيه الطفل يلاحظ باطمئنان جسمها .

---

(١) Hutchison, Alice. : Motives of Conduct in Children. P.112—113.

وقد أخذ الطفل بسرعة إلى حمام للسباحة حيث يوجد أطفال عديدون (ذكور وإناث) وقد تعروا تماماً من ملابسهم . وبذلك أتيحت له الفرصة ليلاحظ الفرق بين الذكر والأنثى .

التربية الجنسية :

تبرز أمامنا مشكلة وهى التربية الجنسية للطفل . وللمشكلة عناصر ، يكون كل عنصر مشكلة قائمة بذاتها ، فمن المكلف بالتربية الجنسية المنزل أم المدرسة ؟ أم تترك لمحض الصدفة ؟ وإذا فرضنا أن المدرسين كلفوا بالتربية الجنسية فهل تعطى هذه بطرق فردية أم جمعية ؟ وهل يخصص لها برنامج منفرد أم تعطى ضمن بعض المواد الدراسية ؟ ثم متى تبدأ التربية الجنسية ؟ وكيف تدرس ؟ ومدى الصراحة التى يتحدث بها المدرس ؟

ولعل من الخير أن أنقل هنا قرارات المؤتمر السنوى للصحة الاجتماعية بأمريكا والذى قرر فيه النقط التى اتفق عليها نهائياً فى التربية من حيث الصحة الاجتماعية [١] :

١ — المقصود بالتربية الجنسية جميع المسائل التربوية التى تعد الناشىء لمواجهة مشاكل الحياة التى يكون مركزها الغريزة الجنسية ، وتشمل هذه المشاكل جانبا كبيرا من خبرات الشخص أبسطها

---

(١) اقتبست فى أسس الصحة النفسية من Oruenberg : Guidance of Childhood and Youth.

المسائل الأولية المتعلقة بالصحة الجنسية الشخصية ، وأعقدها المشكلات الجسمية والاجتماعية والنفسية التي تتعلق من قريب أو بعيد بالسعادة الزوجية وحياة الأسرة عموماً .

٢ — لايجوز أن تكون هناك دراسات قائمة بذاتها للأمور الجنسية أو مناهج يطلق عليها الدراسات الجنسية .

٣ — تقدم التربية الجنسية ضمن دراسات أو موضوعات أخرى ، ويجب أن يقصد بها تكوين اتجاهات عقلية صحية وعادات طيبة، ولهذا فيتحتم أن تكون فى صلب المنهج التعليمى والتربوى العام.

٤ — تدل الدراسات السيكولوجية على ضرورة أن يبنى التوجيه الجنسى للإنسان على أساس الاختيار الذاتى الحر الذى يرتكز على الإدراك والمعرفة . أى يجب أن تكون هنالك ضوابط إرادية للدوافع والرغبات الغريزية التى تستثيرها أنواع المغريات والمثيرات المحيطة بالإنسان .

٥ — ترى التربية الجنسية أن يعطى الناشىء أسسا للضوابط الإرادية للسلوك مثل : احترام الرأى العام المتعلق بالأمور الجنسية — تذوق الآداب الجنسية وتقديرها — معرفة النتائج القانونية والاجتماعية والطبية — الشعور بالمسئولية الشخصية والاجتماعية — تقليد بعض الأشخاص المثاليين — احترام الأنوثة والرجولة — تكوين عادات ضبط الذات — دراسة الأدب الذى يصور الحب فى أسمى الصور وأرقاها . . . إلخ

٦ — خلق اتجاه صحى فى عقل الناشىء بتعليمه المسائل الجنسية بالتدريج ، وأولا بأول ، فيتعلم كل مايتعلق بما يخطر على باله من المشكلات الجنسية حتى لايصل إلى معلومات من مصادر غير مرغوب فيها .

٧ — تجمع التربية الجنسية بين أوجه من التربية الخلقية والتربية الصحية ، ولهذا فعلى المنزل يقع جل عبء التربية الجنسية قبل مرحلة المراهقة ، ولذا فيجب إعداد الآباء وكل من لهم صلة بالطفل عن طريق النشرات والمحاضرات والمناقشات ليعدوا أنفسهم لتعليم النشء وتوجيههم فيما يختص بالمسائل الجنسية .

وأخيراً ، هذا ماحدث بأمريكا فى الوقت الذى لم تنل هذه المشكلة من أولى الأمر فى مصر عناية كافية . ولعل من المجدى أن تثار هذه المشكلة وأن تعقد المؤتمرات للوصول إلى حلول عملية تطبق (فى المدارس والمنازل) حتى ننشىء جيلا خاليا (ما أمكن) من عوامل الانحراف والشذوذ الجنسى .

وقد يكون من المفيد لو أجريت تجربة للتعليم المختلط فى المدرسة الابتدائية ، فرياض الأطفال نجد فيها البنين إلى جانب البنات ، وكذا الحال فى الجامعة ، فماذا الأمر لو قللنا فترة انفصال الولد عن البنت أربع سنوات (المرحلة الابتدائية) هل يكون لهذا أثره فى حل بعض المشاكل الجنسية التى نلمسها فى مرحلة المراهقة وما بعدها ؟ نحن ننظر مثل هذه التجربة ونتطلع فى لهفة إلى نتائجها .

المراجع

١ . اسحق رمزى : علم النفس الفردى .
٢ . سوزان ايزاكس : الحضانة (ترجمة سميه نهمى)
٣ . عبد العزيز القوصى : أسس الصحة النفسية .

4. Chaldwick, M. : Difficulties in Child Development.
5. Chesser, E. & Dawe, Z. : The Practice of Sex Education.
6. Gordon (Editor) : A Survey of Child Psychiatry.
7. Haire, N. : Encyclopœdia of Sexual Knowledge.
8. Hutchison, A. : Motives of Conduct in Children.
9. Landau, R. : Sex Life and Faith.
10. Lon Chaloner (Editor). : The Mother's Encyclopœdia.
11. Oswald Schwarz : The Psychology of Sex.
12. Russell, B. : On Education.
13. Teagarden. : Child Psychology for Professional Workers.
14. Valentine. : The Psychology of Early Childhood.